

اللمعة

بتفسير سورة الجمعة

تأليف:

الشيخ محمد بن عبد الحميد بن يحيى بن زيد المحمدي الشافعي

عفا الله عنه



اللمعة

بتفسير سورة الجمعة

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

.....

تفسير سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿٣٤﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٣٥﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

﴿٣٦﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه (٨٧٧): عَنِ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: اسْتَحْلَفَ مَرْوَانُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، فَصَلَّى لَنَا

أَبُو هُرَيْرَةَ الْجُمُعَةَ، فَقَرَأَ بَعْدَ سُورَةِ الْجُمُعَةِ، فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ، قَالَ: فَأَدْرَكْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ حِينَ انْصَرَفَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ قَرَأْتَ بِسُورَتَيْنِ كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَقْرَأُ بِهِمَا بِالْكُوفَةِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَأُ بِهِمَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ".

وفيه رقم (٨٧٨): عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَتَبَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ إِلَى النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ يَسْأَلُهُ: أَيُّ شَيْءٍ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، سِوَى سُورَةِ الْجُمُعَةِ؟ فَقَالَ: "كَانَ يَقْرَأُ هَلْ أَتَاكَ".

والذي يتأمل حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ويتأمل أقواله يجد فيها الخير والنفع العظيم في الدنيا والآخرة، كيف لا وهو المبلغ عن الله والمبين لكتابه والناطق بتوحيده ووحيه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ﴾، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۗ﴾.

فهذه السورة التي كان يتلوها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في صلاة الجمعة فيها خير عظيم.

وقد كان يقرأ في الجمعة بسورة: سبح اسم ربك الأعلى والغاشية؛ كما في حديث النعمان وغيره.

وفيهما من المواعظ ما الله به عليم: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(١٠) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ^(١١).

فناسب الإتيان بهذه السورة بعد موعظة الجمعة؛ كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٨)؛ فإنما يجب عليك التبليغ ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٩)، وهنا قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(١٠)؛ أي هذه الموعظة التي سبقت صلاة الجمعة تذكير وتعليم، وهذه وظيفتك وهذا ما تستطيعه مما أمرك الله به، وإلا فإن هداية التوفيق خاصة بالله عَزَّجَلَّ وأنت ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء.

وفي الآية الأخرى في سورة سبح يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَجْزِبُهَا الْأَشْقَى﴾^(١١)، فناسب الإتيان بها بعد موعظة الجمعة؛ بأن من تذكرك كان من السعداء ومن لم يتذكر ولم يتعظ كان من الأشقياء؛ ولأن المواعظ والعلوم إنما يستفيد منها أهلها.

وفي هذه السورة التي نريد أن نتكلم عنها الليلة سورة الجمعة ففيها حث وإخبار، وفيها أمر ونهي، وفيها الشيء العظيم كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

يخبر تعالى أنه لتمام ملكه وقهره وقوته يسبح له من في السموات والأرض من بر وفاجر ومؤمن وكافر وحجر وشجر وملائكة وجن فكلها خاضعة دالة على تنزيه الله تعالى عن النقص والعيب، وأنه تعالى متصف بالكمال المطلق من كل وجه في قدرته وملكه وحكمته وعلمه وقهره وسلطانه وغير ذلك من خصائصه فهو رب العالمين ومالك يوم الدين وله ملكوت السموات والأرضين. فمن أنت وما أنت أمام السماوات وما فيها والأرضين وما فيها، فالله عز وجل غني عن طاعاتك وعن قرباتك وإنما تقدم لنفسك وتعمل لغدك قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدَ عَن وِلْدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وِلْدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰلْسِفُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفٰلِيزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ١٨ - ٢٠].

وقيل:

واعمل لدارِ غداً رضوان خازنها ❀ والجارِ أحمد والرحمن ناشيها
وتسبيح المخلوقات لله تعالى كما قال العلماء بلسان الحال أو
بلسان المقال.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد؛ حتى الكفار الذين
يكفرونه بأفعاله وأقوالهم واعتقاداتهم وجودهم يدل على عظمة الله
وعلى قدرته وعلمه وحكمته وعزته إلى غير ذلك من أوصاف جماله
وخصال كماله.

فعليك أن تسبح أيها المسلم بلسان حالك وبلسان مقال أي تكثر
من تسبيح الله عزَّوجلَّ بلسانك: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله
والله أكبر).

والنبي **صلى الله عليه وعلى آله وسلم** يقول كما في حديث أبي هريرة عند مسلم: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».

ومعنى: (سبحانه الله): تنزيه الله عن كل نقص وعيب.

ومعنى: (الحمد لله تعالى): إثبات كل كمال لله **عزَّ وجلَّ**.

وتستلزم سبحان الله إثبات كل كمال؛ لأنه إذا كان منزهاً عن النقائص فكماله، وتستلزم الحمد لله تنزيه الله عن النقائص؛ لأنه إذا كان كاملاً فهو منزّه عن النقائص والمعائب.

قوله تعالى: ﴿**الْمَلِكُ**﴾: وفي تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٢٣٣): "الملك المالك: الذي له الملك فهو الموصوف بصفة الملك وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر، والتدبير، الذي له التصرف المطلق، في الخلق والأمر والجزاء.

وله جميع العالم العلوي والسفلي، كلهم عبيد، وممالك، ومضطرون إليه وهو الأمر الناهي المعز المذل الذي يصرف أمور عباده كما يحب، ويقلبهم كما يشاء، وله من معنى الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنى كالعزيز الجبار المتكبر، الحكيم، العدل، الخافض، الرافع، المعز، والمذل، العظيم، الجليل، الكبير،

الحسيب، المجيد، الوالي، المتعالي، مالك الملك، المتسلط، الجامع، إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك. انتهى

وفي الآية: بيان ملك الله تعالى للموجودات فالله **عَزَّجَلَّ** يقول: ﴿لَهُ

الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٦﴾؛ بيان من الله تعالى لملكه

المطلق للسموات وما فيها وللأرض وما فيها ومثل هذه الآية كثير في

كتاب الله تعالى منها قول الله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٦﴾ [الملك: ١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ **٨٧﴾** قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ

وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ **٨٩﴾** قُلْ مَنْ

بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ٩٠﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ **٩١﴾** [المؤمنون: ٨٦ - ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ **٢٦﴾** تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ

الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على سعة ملك الله تعالى وعظمته فإين الجبارون والمتكبرون مما هم فيه أمام عظمة من ذلت لعظمته الرقاب.

وفي صحيح مسلم: عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه تعالى: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُذْخِلَ الْبَحْرُ».

ولتمام ملكه تعالى له الحمد المطلق ف(ال) تفيد الاستغراق أي: أن جميع المحامد ثابتة له تعالى على أكمل الوجوه وأعظم الخصال فله الحمد في ربوبيته والحمد في ألوهيته والحمد في أسمائه وصفاته.

وقد حمد الله تعالى نفسه في مواطن من كتابه وحمده الحامدون
فمنها قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
﴿٢﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣﴾﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤].

وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١]
وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي
الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١].

إلى غير ذلك من الآيات والحمد هو ذكر صفات الله تعالى مع
حبه وتعظيمه وإجلاله، ومواطنه كثيرة بينت بعضها في شرحي على
الواسطية.

ثم قال الله عزَّوجلَّ في وصف نفسه حيث استحق هذا التسييح وهذا
التحميد وهذا التهليل ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ فالله عزَّوجلَّ
هو الملك الذي له الملك المطلق الذي لا يعجزه شيء: ﴿وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ
عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾

فالله عزَّوجلَّ لا يعجزه شيء له الملك المطلق ملوك الأرض
عاجزين ملك لكن إنما أوتي مما يوتى بني آدم يأكل ويشرب ويتلهى

ويلبس ويتنعم لكن لا يستطيع أن يتصرف في دقائق قلبه، ولا يتصرف في قلوب خواصه، ولا يتصرف في حياة زيد أو موته أعداءه كثر ما استطاع أن يتخلص منهم وحاجته ماسة ما استطاع أن يقضيها فهو بشر محتاج إلى غيره بينما الله **عَزَّوَجَلَّ** وله المثل الأعلى له الملك المطلق ونزید على ما تقدم لبيان عموم ملكه وقهره قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلَ الْمَلَكَةُ نَزِيلًا ﴿١٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لَمَقٌ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿١٦﴾﴾

وقوله تعالى: **﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٢﴾﴾**، وقوله تعالى: **﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾**؛ فإذا كان هو الملك المطلق وكل ملوك الدنيا فقراء إليه فيقتضي أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قوله تعالى: **﴿الْقُدُّوسُ﴾**: المنزه عن المعاييب والنقائص والذي ثبت له جميع المحامد.

وفي تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٢٠٨) قال **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى**: "ومن أسمائه القدوس السلام، أي: المعظم المنزه عن صفات

النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المتمتزه عن جميع العيوب، والمتمتزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، فالقدوس كالسلام، ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله فهو المقدس المعظم المنزه عن كل سوء، السالم من مماثلة أحد من خلقه ومن النقصان ومن كل ما ينافي كماله. فهذا ضابط ما ينزه عنه، ينزه عن كل نقص بوجه من الوجوه، وينزه ويعظم أن يكون له مثل أو شبيه أو كفو أو سمي أو ند أو مضاد، وينزه عن نقص صفة من صفاته التي هي أكمل الصفات وأعظمها وأوسعها.

ومن تمام تنزيهه عن ذلك إثبات صفات الكبرياء والعظمة له فإن التنزيه مراد لغيره ومقصود به حفظ كماله عن الظنون السيئة كظن الجاهلية الذين يظنون به ظن السوء، ظن غير ما يليق بجلاله وإذا قال العبد مثنيًا على ربه "سبحان الله" أو "تقدس الله" أو "تعالى الله" ونحوها كان مثنيًا عليه بالسلامة من كل نقص وإثبات كل كمال.

انتهى

وعن عائشة نَبَّأَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ».

وقوله تعالى: ﴿الْعَزِيزُ﴾: أي: ذو العزة وهي تمام القوة والقهر فالله عَزِيزٌ قوي لا يكرهه شيء ولا يعجزه: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾. فالله عَزِيزٌ ذو البطش الشديد، الفعال لما يريد.

وفي تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٢١٤) قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: "هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة فهو تعالى كامل القوة عظيم القدرة شامل العزة ﴿لِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾، العزيز الذي له العزة كلها عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته. فمعاني العزة الثلاث كلها كاملة لله العظيم. انتهى

وقوله تعالى: ﴿الْحَكِيمُ﴾: "الحكيم هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾».

فلا يخلق شيئاً عبثاً، ولا يشرع شيئاً سدى، الذي له الحكم في الأولى، والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه.

والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها.

والحكيم: الموصوف بكمال الحكمة، وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم، والاطلاع على مبادئ الأمور، وعواقبها، واسع الحمد تام القدرة غزير الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللاتقة بها في خلقه، وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال.

وحكمته نوعان:

أحدهما: الحكمة في خلقه فإنه خلق الخلق بالحق، ومشتماً على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام، ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته، وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللاً، ولا نقصاً، ولا فطوراً، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من

الحسن، والانتظام، والإتقان لم يقدرُوا، وأنى لهم القدرة على شيء من ذلك

وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيرًا من حكمه، ويطلعوا على بعض ما فيها من الحسن، والإتقان.

وهذا أمر معلوم قطعًا بما يعلم من عظمته، وكمال صفاته، وتتبع حكمه في الخلق، والأمر.

وقد تحدى عباده، وأمرهم أن ينظروا، ويكرروا النظر، والتأمل هل يجدون في خلقه خللاً أو نقصاً، وأنه لا بد أن ترجع الأبصار كليله عاجزة عن الانتقاد على شيء من مخلوقاته.

النوع الثاني: الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع، وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد، ويعبدوه، فأى حكمة أجل من هذا، وأي فضل، وكرم أعظم من هذا، فإن معرفته تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحده، وشكره، والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق. انتهى من تفسير أسماء الله الحسنی للسعدي (ص: ١٨٦).

فعزته مقترنة بحكمته ولذلك يقول تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ

لِّلْعَبِيدِ ﴿٦١﴾، ويقول: ﴿لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ﴾ وفي الحديث القدسي: «إني

حرمت الظلم على نفسي»، والحكمة هي: وضع الشيء في موطنه ولهذا يجمع ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في آيات الوعيد، ﴿**الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴿١٦﴾﴾: أي أنه قادر على إنفاذ وعيده لكن اقتضت حكمته أن يؤخر الوعيد إلى يوم القيامة وإلا لو أراد أن يتتقم من العصاة وأن يصددهم ويدمرهم ويزلزلهم فعل وقد فعل بقوم نوح فأغرقهم وبقوم فرعون فأغرقهم وبقوم لوط فحسف بهم وبقوم عاد فسخر عليهم الريح وبقوم ثمود فسخر عليهم الصيحة وبقريش فسخر عليهم السيف فالله **عَزَّوَجَلَّ** له الحكمة البالغة والحجة الدامغة.

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَنِيَّ صَلَّيْ مُبِينٍ** ﴿١٧﴾﴾.

﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ**﴾: الأميون العرب، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، وقد انتشر فيهم أكثر الشرور وأعظمها الشرك والتنديد والقتل وغير ذلك كما في حديث المغيرة بن شعبة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند البخاري: وَخَرَجَ عَلَيْنَا عَامِلٌ كِسْرَى فِي أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَقَامَ تَرْجُمَانٌ، فَقَالَ: لِيُكَلِّمْنِي رَجُلٌ مِّنْكُمْ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ: سَلْ عَمَّا سُئِلْتَ؟ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ أَنْاسُ

مِنَ الْعَرَبِ، كُنَّا فِي شَقَاءٍ شَدِيدٍ وَبَلَاءٍ شَدِيدٍ، نَمِصُّ الْجِلْدَ وَالنَّوَى مِنَ الْجُوعِ، وَنَلْبَسُ الْوَبَرَ وَالشَّعْرَ، وَنَعْبُدُ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِينَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ وَجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنْ أَنْفُسِنَا نَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَأَمَرَنَا نَبِيُّنَا رَسُولُ رَبِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « أَنْ تَقَاتِلَكُمْ حَتَّى تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحَدَهُ، أَوْ تُوَدُّوا الْجِزْيَةَ، وَأَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا، أَنَّهُ مَنْ قُتِلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي نَعِيمٍ لَمْ يَزِرْ مِثْلَهَا قَطُّ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَّا مَلَكٌ رِقَابِكُمْ ».

وفي حديث أم سلمة عند أحمد شيء من ذلك ومنه قول جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنجاشي: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفُؤَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارِ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصَدَقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، "فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصَدَقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالِدَّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفُؤَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ"، قَالَ:

فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْتَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحُدَّهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمَنَا، فَعَدَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيُرِدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

فبعث الله تعالى إليهم نبياً من أنفسهم وهذا لا يمنع أن يكون قد أرسل إلى غيرهم على ما هو معلوم وتخصيص الأئمة بالذكر لا ينفي من عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به ومن الأدلة أنه رسول الله إلى الناس عامة قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وفي مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأَحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخْتِمَ بِي النَّبِيُّونَ».

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَيُبْعَثُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأَحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلِّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيَّ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»، متفق عليه.

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾
 يبين سبحانه وتعالى تمام منته وكرمه وفضله عليهم أن بعث فيهم رسولا يتكلم برسالته يعرفون نطقه ونسبه ويعرفون فضله وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أُمِّي مثلهم لا يقرأ المكتوب وما جاء أنه خط بعض الكلمات فهذا من دلائل نبوته، وإلا فإنه لما أتاه جبريل قال له اقرأ قال: «ما أنا بقارئ» أي: لا يستطيع القراءة.

وهذه نعمة عظيمة أن ييسر الله لك من يسمعك و يعلمك إذا جهلت و يذكرك إذا نسيت إلى غير ذلك، و احمداوا الله أن جعلكم تتكلمون باللسان العربي غيركم يتعب كثيرا يحبون الدين لكن لا يفقهون ولا يفهمون ولا يعون ولا يحفظون؛ لأن القرآن بغير لغتهم، وإذا حفظ يعاني ويتعب وينصب و أنت جعلك الله تتكلم لغة العرب فتفهم كلام الله و كلام رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ**.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ

لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٦﴾ : أيضًا من أسباب الزكاة يزكك بطاعة الله و يعلمك الأسباب التي تؤدي بك إلى الجنة و يحذرك من الأسباب التي تؤدي بك إلى النار، يعلمك مكارم الأخلاق و يحذرك من سفاسفها، يعلمك التواضع و ينهاك عن الكبر، يعلمك العلم و ينهاك عن الجهل، يعلمك الطاعة و ينهاك عن المعصية، يعلمك التوحيد و ينهاك عن الشرك، يعلمك السنة و ينهاك عن البدعة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٨﴾ ، نعم والله طاعة النبي الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ** زكاة، زكاة للقلوب، و للأعمال، و للعقائد ، زكاة في الدنيا و الآخرة، يشئ صاحبها عند الله و عند الصالحين من عباد الله،

صاحبها مقدّم في الدنيا والقبر والآخرة، صاحبها صاحب رفعة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١).

وقوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوم كانوا يأكلون الميتة ويقطعون الأرحام ويأتون الحرام ويشربون الخمر ويعبدون الأصنام ويأكلون الربا فزكاهم هذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإتباعهم هذا النبي وصاروا سادة وقادة، فمرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة وكان بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقتها، قال: جئت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله أنكح عناق؟ قال: فسكت عني فنزلت: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحَهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]، فدعاني فقرأها علي وقال: «لا تنكحها».

فانظر زكاة في طاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زكاة في طاعة أمر الله، زكاة في اللجوء إلى الله، ولما كان الإنسان يقع في قلبه ما يقع رجع إلى رسول الله فأنزل الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحَهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)، هذا توجيه الله وتوفيقه وتسديد.

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾: وزد أيضًا: ﴿وَيَعْلَمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: أي الكتاب والسنة، والكتاب هو القرآن،
والحكمة هي السنة.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٤﴾﴾: أخبر الله عزَّ وجلَّ ما
كانوا عليه من أجل أن يعرفوا قيمة تلك النعمة التي كانوا عليها فكثير
من الناس لا يعرفون بالنعمة إلا إذا ذكروا بما كان عليه من الضلال؛
ولهذا قال فرعون لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ
وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧﴾ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ
لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة
الشعراء: ١٨-٢١]، فررت منكم بسبب أني وقع في هذه المسألة في هذا
القتل وظلمت نفسي وكنت جاهلاً بتعاليم الدين، ولم يكن قد بعث
الله إليه في ذلك الوقت، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾، ثم
أمتن الله عزَّ وجلَّ عليه فقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١٣﴾﴾.

نعم يا عباد الله بين الله عزَّ وجلَّ لهم أنهم كانوا من قبل لفي ضلال

مبين.

قال تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿٣﴾

أي: وآخرين سيستفيدون من هذه الدعوة لما يلحقوا بهم فسرهما رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بأنهم أناس من فارس في ذلك الزمان، أما أهل فارس الآن رافضة إلا من رحم ربي، فلا يستدل الرافضة الآن بهذا الحديث: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ» من أهل فارس.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قَالَ: قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا، وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَضَعَ رَسُولُ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ»، متفق عليه.

جاء الله بقوم من ذلك البلاد اسلموا وفتح بهم الفتوح وحفظ بهم الدين كالبخاري ومسلم، الترمذي، النسائي، ابن ماجه ومن كان على شاكلتهم، ومن كان من أفرادهم وأسلافهم ممن أطاع الله: ﴿وَأَخْرَيْنَ

مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾، أَيضًا مع قوته اقتضت حكمته إسلام مثل هؤلاء الصالحين الحافظين ليحفظ الله بهم الدين

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾﴾.

أي: بالتوفيق والزكاة والهداية والتعليم، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾: لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه والله ذو الفضل العظيم .
فالمسلم يحمد الله عزَّوَجَلَّ الذي تفضل عليه أخرجته من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧﴾﴾، وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَّيْنَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾: أي: الهداية للإسلام والمنة به يؤتية من يشاء من عباده ممن علم بهم الخير وحب الخير وعلم في قلوبهم الصلاح: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٩﴾﴾.

ثم أخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** عن حال المعرضين عن هذا الإيمان وعن هذا الإسلام فقال:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْقَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

الظلم من أعظم الأسباب للصد عن الهداية سواء كان ظلم الكفر وظلم الشرك فيما بين العبد وبين ربه أو كان ظلم المرء لغيره أو كان ظلم العبد لنفسه فالظلم عاقبته عظيمة وهو أنواع وأعظمها الشرك: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

فمثل الذين حملوا التوراة من اليهود ومن النصارى ثم لم يحملوها كمثل الحمار، كذلك مثل الذين سمعوا وتعلموا القرآن ثم مازالوا على خلافه يشركون وينددون ويتعاطون غير ذلك مما يناقض القرآن كمثل الحمار سمى الله المعرض عن العمل حمار الحمار يحمل الكتب لكن هل يستفيد منها، كما قيل:

زوامل للأشعار لا علم عندهم ❀ بجيدها إلا كعلم الأباعر
 لعمرك ما يدري البعير إذا غدا ❀ بأوساقه أو راح ما في الغرائر

يعني: الذي لا يستفيد من علمه كمثل الأباير؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٧﴾﴾، فالله عَزَّوَجَلَّ وصف الذي لا يعمل بعلمه بالكلب ووصف الذي لا يعمل بعلم بالحمار الذي يحمل الأسفار ولا يستفيد منها.

﴿يَنْسُ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾: بينما المؤمن له مثل عظيم مثله بالنخلة؛ كما في حديث عبد الله بن عمر، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: «لَأَنْ تَكُونَ قَلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا». متفق عليه، يعني: كل أجزاءها فيها خير وكلها يستفيد منها الناس بجميع الأوقات واللحظات.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾:
 علم الله بهم الظلم ، علم بهم البغي، علم الله بهم الإعراض، كما قال
 تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ
 مُعْرِضُونَ ﴿٥١﴾﴾، فالله له المنة وله الحمد على أن هدانا للإسلام
 ونسأله أن يتوفانا على ذلك.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ
 مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦١﴾﴾.

ثم لما كان المقام مقام مناظرة لقوم يدعون أنهم على الحق
 ويدعون أنهم أهل الاستقامة ويدعون أنهم أهل الخير وهذا ديدن
 قديم حين قاله إبليس اللعين حين قال لآدم: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
 النَّاصِحِينَ ﴿٦٢﴾﴾، يدعي الخيرية؛ وحين قال فرعون لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ
 إِلَّا مَا أَنزَلْنَا وَمَا أَنزَلْنَا إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٦٣﴾﴾، ويقول في موسى:
 ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ
 ﴿٦٤﴾﴾، وقال في وصف نفسه: ﴿قَالَ يَقْوِمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ
 الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ أمر أنا خيرٌ من هذا الذي هو
 مهينٌ ولا يكادُ يبينُ ﴿٦٦﴾﴾، موسى عندهم مهين! ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ
 ﴿٦٧﴾﴾ يعني: لا يكاد يفصح إلى غير ذلك.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما كان الموطن موطن مناظرة وكان اليهود يدعون أنه الله وأنهم أبناءه كما قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾، بل أنتم بشر، وكما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾.

وهنا يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾: يا أيها اليهود: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾: إن قلتم أنكم الأولياء والأصفياء وأنتم الجنس الثاني وأنتم شعب الله المختار كما تقولون: ﴿فَتَمَتَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾﴾، تمنوا الموت فإذا تمنوه هلكوا، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لوفد نجران: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿١٥﴾﴾، خافوا ورفضوا هذه الملاعة.

وقد أخرج البخاري في صحيحه عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعِنًا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا،

قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا أَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ».

فقوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا أَلْمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ❦ أي: يا أيها اليهود إن كنتم أنتم الأولياء والأصفياء تمنوا الموت حتى تقدموا على ربكم فيجازيكم بأعمالكم.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ❦

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ❦ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَزٍ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ❦ [البقرة: ٩٥-٩٦].

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾: لماذا؟

لأنهم على ضلال، وإنما يفرح بلقاء الله المؤمن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، ومن من الناس الآن أصحاب الأحزاب يزعمون أنهم على الحق والصوفية يزعمون أنهم على الحق والشيعة يزعمون أنهم على الحق والمكارمة لا كرمهم الله ولا صبحهم بخير ولا مساهم يزعمون أنهم على الحق، حتى أنهم في هذه الأيام جاء دعاة الشرك لعنهم الله وأخزاهم إلى اليمن وإذا بهم يعيدون ويحتفلون بهم في حراج.

فنصيحة للمسلمين أن يتبينوا حال هؤلاء الزنادقة والزائرين، والله إن المكارمة والإسماعيلية والرافضة زنادقة يفتنوا المسلمين، أما المكارمة ومن تفرع منهم نقل شيخ الإسلام الاتفاق على أنهم أكفر من اليهود والنصارى، وفعلاً والله هم أكفر من اليهود والنصارى.

ففي ترجمة علي بن الفضل في الشفاء عليه:

خذي الدَّفَّ يَا هَذِهِ والعبي ❀❀ وغني هزاريك ثمَّ اطربي
 تولي نبي بني هاشم ❀❀ وهَذَا نبي بني يعرب
 لكل نبي مضي شرعة ❀❀ وهاتي شريعة هَذَا النبي

- فقد حط عَنَّا فروض الصَّلَاة ❀❀ وَحَط الصَّيَام فَلَمْ نَتْعَب
 أَحَلَّ البَنَات مع الأمهات ❀❀ ومن فضله زاد حلَّ الصَّبِيِّ
 إِذَا النَّاس صلوا فَلَا تنهضي ❀❀ وَإِنْ صُومُوا فكلِّي واشربي
 وَلَا تطلبِي السَّعْي عِنْد الصَّفَا ❀❀ وَلَا زورة القُبْرِ فِي يثرب
 وَلَا تمنعي نَفْسك المعرسين ❀❀ من الأَقْرَبِينَ مَعَ الأَجْنَبِيِّ
 فِيمَ ذَا حللت لِهَذَا الغَرِيب ❀❀ وصرت مُحرمة لَلْأَب
 أَلَيْسَ الغِرَاس لمن ربه ❀❀ وأسقاه فِي الزَّمَن المجدب
 وَمَا الخمر إِلَّا كَمَاء السَّمَاء ❀❀ محل فقدست من مَذْهَب

انظر إلى هؤلاء الفجرة!، قال الغزالي: وهم يستبيحون الفروج

بالإجماع.

وقال بعضهم في صفاتهم: أنهم لا يعلمونك دينهم حتى يختبروك
 في امرأتك، فمن أراد أن يلتحق بهم قالوا: عندنا أسرار لا نستطيع أن
 نعلمك حتى تفعل ما نأمرك به فيضل معهم أيام وليالي يريد أن يعرف
 السر، سر الباطل، سرهم الكفر فيقولون له: يا فلان إذا أردت أن
 تكون على مذهبنا فلان على مذهبنا فخذة إلى بيتك وأدخله على
 امرأتك فإذا فعلت ذلك فأنت تستحق السرية.

فبعد أن يرضى بالزنا بامرأته وهو ينظر يخبرونه بما شاء؛ لأن عقله أرداداً من عقل الحمار، إي والله أن الحمار ما يرضى بالحمار التي يكون بجانبها، والديك بل ربما الكلاب بل إن القردة كما قال عمرو بن ميمون قال: "رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرْدَةٌ، قَدَّرَتْ، فَرَجَمُوهَا، فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ". أخرجه البخاري.

فنصيحة للمسلمين: أن يتقوا الله وأن يحذوا من هؤلاء، فهم من أسباب دمار الدول، لا تظن أيها المسلم أن هذا بدولاراته أو بملايينه يستطيع أن يفعل لك شيء هذا من أسباب دمار الدول، لو كانوا على شيء لمكنهم، لكن وإن تسلطوا أياماً فهم أرداداً والله من الحمير والكلاب والبغال، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّرُ الْبَكْرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٢﴾، فوالله أنه يجب على الدولة أن تدمر وأن تخرب عليهم مساجدهم وقبورهم وأماكنهم كما وضحنا ذلك في كتابنا: "عقائد الباطنية والمكارمة وخطرها على الأمة"، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد حرق مجلس الضرار وهو أقل ضرراً من مساجد المكارمة وأقل ضرراً من مساجد الرافضة الذين ينحرون بالإسلام باسم الإسلام، وباسم التشيع لآل البيت .

وكما قال في المكارمة: علانيتهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥١﴾﴾.

فالله عليم بالظالمين، وعلیم بالصالحين، فإن كان من أهل الصدق الله عليم به، ومن كان من أهل الكذب فالله عليم به، فلا تزكي نفسك، قال تعالى: ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٣﴾﴾، وليس هنا بمعنى لا تعملوا الخير وإنما لا تزكوا أنفسكم أي: تطروها وثنوا عليها، فهو أعلم بمن اتقى، وكما قيل:

وَكُلُّ يَدْعِي وَضَلَّ لِلْيَلَىٰ ❀❀ وَيَلَىٰ لَا تُقَرُّ لَهُمْ بِذَاكَ

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾: كل الناس.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: الله عالم الغيب المطلع على

الغيب والشهادة على الأمور الظاهر، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾، وقال: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ

﴿١١﴾﴾، وقال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ

سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴿٧﴾

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ ﴿٩﴾

قال ابن مسعود - **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: فأرع لها سمعك، فإنه خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه. أرع لها سمعك وقلبك أي: استمع وأصغي؛ لأن هذا النداء من الله لك.

فإذا قال لك أبوك: يا محمد أما تلتفت إليه حينئذ، وإذا قال: يا صالح أما تلتفت إليه؟ بلى تلتفت وتنظر ماذا يريد أن يأمر، وماذا يريد أن ينهى، فتفعل المأمور وتترك المحذور، فكذلك من هذا الباب إذا قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: فأرع سمعك واستمع واتعظ والتفت وافعل المأمور واترك المحذور، واصبر على المقذور.

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: دلالة على أنه ينبغي للمسلم أن يبادر إلى الطاعات والقربات كما أنه يسعى ويجري للمصالح الدنيوية عليه أن يبادر إلى الطاعات والقربات،

وعن أبي عَبَسٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فْتَمَسَّهُ النَّارُ». أخرجه البخاري **وبوب عليه البخاري:** (باب المشي إلى الجمعة).

وهذا وإن كان في الجمعة خاص فهو عام في جميع الطاعات والقربات: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾: إذا أمرتم بالصلاة صلوا، وإذا أمرتم بالزكاة زكوا، وإذا أمرتم بالحج حجوا، وإذا أمرتم بالذكر اذكروا، وإذا أمرتم بمكارم الأخلاق طبقوا، وهكذا، فيما أنه يطاع في صلاة الجمعة يجب أن يطاع في غيرها.

وسبب نزول الآية: ما جاء في صحيح البخاري: عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَفْبَلَتْ عَيْرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا، فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١]".

فأمرهم الله بالسعي للجمعة وترك البيع في حال الجمعة، بل لا يجوز أن تشتري وتبتاع في ذلك الوقت، والبيع محرم ولو كان سواك أو مندبل أو ماء أو أي شيء.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾: والله عَزَّوَجَلَّ

يعلم مصالح العباد ولهذا أمر بالخير ونهى عن الشر والظير.

والجمعة يوم عظيم من أعياد المسلمين قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ»، أخرجه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: «فِيهِ سَاعَةٌ، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». متفق عليه.

يوم الجمعة يوم عظيم، يوم فضيل أمتن الله عَزَّوَجَلَّ به على هذه الأمة، عرض على اليهود فأبوا، وعرض على النصارى فأبوا، فجاء المسلمون فوقفهم الله ليوم الجمعة؛ فعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نَحْنُ الْأَخِرُونَ، وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيِّنٌ أَنْ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا، هَذَا اللَّهُ لَهْ، فَالِنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ عَدَا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ». متفق عليه.

فقوله: ﴿ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: فالخيرية كل الخيرية في إتباع أمر الله واجتناب نهيه وزجره والله عزَّجَلَّ عليهم بمصالح العباد ولهذا حثهم على الخير وحذرهم من الشر والضير وحثهم على ما يأتي بهم إلى النعيم المقيم وحذرهم من الشر وما يؤدي به إلى العذاب الأليم.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾: سبحان الله ما أرحم الله ما ألطف الله بعباده، والله لطيف بهم ورحيم بهم، ما قال اجلس في المسجد يومك ونهارك، وما جعل أوزارًا وأصارًا عليك، بل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾، حرم على اليهود صيد يوم السبت والعمل يوم السبت، أما المسلمين رحمهم وأمتن عليهم، اليهود شددوا على أنفسهم فشدد عليهم، فقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾: أي: إذا انتهيت من الصلاة والذكر والطاعة فانتشروا في الأرض لمصالحكم، كزيارة محارمكم، والعمل في مزارعكم وكذلك البيع والشراء والبحث عن المكاسب.

﴿وَأَبْتَعُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾: هذا ليس من فضلكم، هذه دلالة واضحة على أن الله هو المنعم وهو المعطي، فاستحضر مثل هذا أنت أن تخرج من المسجد للسعي ليس بحولك ولا بقوتك، ولا بقدرتك، ولا بمالك، ولا بجاهك وإنما هو فضل الله، وكما قال

تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ
وَالِيَهُ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [المك: ١٥]، ففضل الله واسع.

﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٥﴾﴾: فمع ما رزقك
الله من فضله وسعيت في طلبه فاذكر الله **عَزَّجَلَّ** كثيرًا على هذه النعمة،
اذكر الله في دكانك، وسيارتك، ومزرعتك، عند أبناءك، عند
أصحابك، في طريقك.

وهذا فيه: دلالة أن ابتغاء فضل الله طيب، ابتغاء للرزق وصيانة
للعرض وصيانة للوجه، وانفاق على الأرحام والأقارب والأبناء
والنفس أمر طيب، لكن اعلموا أن الفضل العظيم والخير العظيم
والسبب العظيم للفلاح هو في ذكر الله: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٥﴾﴾، والله أكثر، والله أكبر، والله أعظم.
وفضائل الذكر كثيرة ومعروفة وليس هذا موطن بسطها.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ

مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

وهذا كما ذكرنا سابقًا في سبب نزولها حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذْ
أَقْبَلَتْ عَيْرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا، فَالْتَمَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا يَقِي مَعَ النَّبِيِّ

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

إذن يا أخي أنت تريد الدنيا وتريد الآخرة، تريد الله والدار الآخرة، تريد الخير العظيم، عليك ابتغاء فضل الله والسعي في مرضاة الله والبعد عن معصية الله.

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾: فإذا أنعم عليك بنعم الدنيا من الذي يمنحك؟، وإذا منعها من يعطيك؟، والله ما أحد، قال صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» أخرجه الترمذي كما حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ (١١): فالرزق الطيب هو رزق الدين رزق العلم رزق القرآن رزق السنة، وأما رزق الأكل والشرب الحمد لله الذي كتبه الله لك ما سيمنعه أحد، قال صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّ نَفْسًا لَّن تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوِي رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ خذوا ما حلَّ ودعوا ما حَرَّمَ»، أخرجه ابن ماجه عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نسال الله لنا ولكم التوفيق والسداد، والإعانة والثبات، والحمد
لله رب العالمين.



المحتويات

١ تفسير سورة الجمعة

قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ

الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ ٤

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ

قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ١٥

قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿٣﴾ ٢٢

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو

الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ٢٣

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ ٢٤

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ ٢٦

قال تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ ٢٨

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ٣٢

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ ٣٣

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا
قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ

الرَّزَاقِينَ ﴿١١﴾..... ٣٧

المحتويات..... ٤٠